

ولي يزيد بن عبد الملك الخلافة بعد وفاة عمر بن عبد العزيز في شهر رجب سنة (١٠١) هجري، وأقام أربعين يوماً يسير بين الناس بسياسة عمر بن عبد العزيز فشقى ذلك على بني أمية فأتوه بأربعين شيخاً فشهدوا بأنه ليس على الخلفاء حساب ولا عقاب فعدل عن سياسة عمر وساس بالناس سياسة عتق وجبروت وعمد الى عزل جميع ولاة عمر وكتب في ذلك الى عماله: ((أما بعد فإن عمر بن عبد العزيز كان مغروراً، فدعوا ما كنتم تعرفون من عهده وأعيدوا الناس الى طبقتهم الأولى ، اخصبوا أم أجدبوا ، أحبوا أم كرهوا، حيوا أم ماتوا))، وعاد الظلم على الناس بأبشع صورة وألوانه وانتشر الجور وعم الطغيان جميع انحاء البلاد.

لقد كان يزيد بن عبد الملك جاهلاً حقوداً على أهل العلم، حتى أنه كان يحتقر العلماء ويسمي الحسن البصري بالشيخ الجاهل. وفي أيامه أعلن (شوذب الخارجي) الحرب على الامويين وهزمهم في عدة وقعات حتى أرسل إليه مسلمة بن عبد الملك الذي ولاه الكوفة فدارت مع شوذب عدة معارك ودارت الدائرة عليه ومن معه من الخوارج ولم يفلت منهم إلا القليل.

وخرج يزيد بن المهلب بن أبي صفرة بعدما فر من سجن عمر بن عبد العزيز وسار الى البصرة وأسر والها، وتم واصل السير الى الكوفة فانضم إليه الأزد فعظم أمره واشتدت شوكته فبعث إليه أخاه مسلمة بن عبد الملك وأبن أخيه العباس بن الوليد في جيش عظيم، ولما ألتقى الجيشان أقتتلوا قتالاً شديداً فهرب أصحاب يزيد وتخلوا عنه فقتل في المعركة وذلك في سنة (١٠٢) هجري في الثاني عشر من شهر صفر. وهلك هذا الطاغية سنة (١٠٥) هجري ، فتولى الملك بعده هشام بن عبد الملك.

خلافة هشام بن عبد الملك (١٠٥-١٢٥ هجري / ٧٢٤-٧٤٣م):

ولي هشام الخلافة في شهر شعبان سنة (١٠٥) هجري، وبقي فيها الى أن توفي بالرصافة من أرض قنسرين في شهر ربيع الآخر سنة (١٢٥) هجري بعد أن مكث في الخلافة تسع عشر سنة وسبعة أشهر وأياماً.

كان أحول شرس الطباع لثيماً موصوفاً بالحرص والبخل، ومن مظاهر بخله أنه كان يقول: (ضع الدرهم على الدرهم يكون مالاً)، وقد جمع من المال ما لم يجمعه خليفة قبله، وقال: (ما ندمت على شيء ندامتي على ما أحب، وإن الخلافة تحتاج الى الأموال كاحتياج المريض الى الدواء).

ودخل الى بستان له فيها فاكهة وجعل أصحابه يأكلون من ثمرها، فأوعز الى غلامه بقلع الأشجار وزراعة الزيتون لئلا يأكل منه أحد، وإجمالاً لم يمر على الرعية أشد إيلاماً وصعوبة من أيام حكم هشام بن عبد الملك وكان ذا تديب وسياسة وقد قيل: ثلاثة من بني أمية كانوا في الأمور السياسية عديمي النظر: أولهم معاوية وثانيهم عبد الملك وثالثهم هشام بن عبد الملك.

ومن إصلاحاته اهتمامه بتعمير الارض وتقوية الثغور وحفر القنوات والبرك في طريق مكة، ومن اعماله: عزل اخاه مسلمة عن العراق وولاهما خالد بن عبد الله القسري فتولى هذا أخاه أسد على خراسان سنة (١٠٧) هجري، وفي نفس السنة ولي هشام أخاه مسلمة على أذربيجان وأرمينية وولي على أفريقية عبيد بن عبد الرحمن القيسي.

العباسيون في خراسان وبداية الدعوة العباسية:

في سنة (١١١) هجري بدأ سليمان بن كثير الخزاعي واصحابه بخراسان يدعون الى (بني هاشم) بدل (بني أمية) وكثر مجيئهم فأرسل محمد بن علي بن عبد الله بن العباس إليهم مولاه بكير بن ماهان، فدعاهم الى خلع بني امية فأجابوه وكثر أصحابه ومنهم أبو سلمة حفص بن سليمان الخلال (بياع الخل) وارتضاه ابن ماهان لاستخلافه بعده بعد موافقة محمد بن علي. فكتب بكير الى أصحابه يأمرهم بالسمع والطاعة له فأجابوه. وبلغ خبرهم الى والي خراسان أسد بن عبد الله القسري فقبض على جمع منهم فقطع أيديهم وأرجلهم وصلبهم، وشاع خبرهم فخافوه.

الإمام الباقر (عليه السلام) وهشام:

لقد عانى الإمام الباقر (عليه السلام) من طاغية عصره هشام بن عبد الملك الاموي كثيراً فمن التضيق عليه الى مراقبته الى تسييره للشام وسجنه حتى ادى ذلك الى قتله واستشهاده (عليه السلام) من جزاء المناظرات التي جرت بينهما والتي أبرزت علم الإمام وتفوقه على هشام. وفي سنة (١٠٦) هجري حجَّ هشام حجته الوحيدة في خلافته التي امتدت عشرين عاماً فتزامن مع حج الإمام الباقر (عليه السلام) وكان مع هشام نافع مولى عبد الله بن عمر فرأوا تجمع الناس حول الامام الباقر (عليه السلام) في المسجد الحرام فأراد نافع أن يسأل الامام مسائل صعبة لا يعرفها إلا نبي أو ابن نبي أو وصي نبي كما يدعي وبتشجيع من هشام وتحريضه، وبعد سؤال نافع مدبراً وهو يقول: أنت والله أعلم الناس حقاً حقاً، وقال لهشام: هو ابن رسول الله حقاً ويحق لأصحابه أن يتخذوه نبياً.

وكما أن هشام ألقم حجراً من الشاعر الفرزدق الأسدي يوم لقائه بالامام السجاد حينما كان والياً على عهد أبيه، فهنا ألقم حجراً من الامام الباقر (عليه السلام) وهو خليفة، ومرة أخرى أرسل هشام عكرمة غلام ابن عباس للإمام وسأله مسائل كثيرة جداً هو والناس من حوله يسألون فما برح الامام حتى أفنهم في ألف مسألة.

ثمَّ استدعى هشام الامام الباقر وأبنيه الصادق (عليهم السلام) إليه بدمشق فحججهم عنه ثلاثة أيام ثم أذن لهم في اليوم الرابع وحاول أن يوبخ الامام هو ومن معه من خاصته وجنده وكلُّ يدي بدلوه وينل من الامام حتى سكتوا جميعاً فقام الامام (عليه السلام) خطيباً فقال: ((أيها الناس، أين تذهبون . وأين يُراد بكم؟! بنا هدى الله أولكم، وبنا يختم آخركم، فإن يكن لكم ملك معجلاً فإن لنا ملكاً مؤجلاً، وليس بعد ملكنا مُلكاً))، وكان بين يدي هشام قد نصب غرضاً على رأس رمح وكان القوم يرمونه بالسهم فطلب من الامام (عليه السلام) أن يشارك القوم بالرمي لكن الامام أستعفاه فلم يعفه فتناول الامام الباقر (عليه السلام) السهم ووضع في كبد القوس ورمى الغرض فذهب سهمه فيه، ثم تناول الثاني فرماه فشقَّ فوق السهم السابق الى نصله ثم تابع الرمي الى تسعة أسهم لاحقتها الى جوف سابقتها، فلم يتمالك هشام إلا أن صاح: (والله أنت أرمى العرب والعجم)، وتملكه الغضب الشديد فتمتم الامام بكلمات وهو رافع رأسه الى السماء فما كان من هشام إلا أن طُلب منه الجلوس معه في سرير الملك عن يمينه والامام الصادق عن يمين أبيه وبعد أسئلة ومناقشات طويلة سأله هشام عن حاجته ثم أمره بالخروج الى المدينة معززاً مكرماً.

هشام مع جابر الجعفي:

يعتبر جابر بن يزيد الجعفي علماً من أعلام الفكر الامامي ومن أبرز أصحاب الامام محمد الباقر (عليه السلام) ولانقطاعه بالامام الباقر وقربه منه ناله جور هشام الشام فأمر عامله على الكوفة خالد بن عبد الله القسري بقتله وإرسال رأسه اليه، وبوصية رائعة منه (عليه السلام) إذعى جابر الجنون وأخذ يلعب مع صبيان الكوفة في الرحبة على القصب وهو يصيح (منصور بن جمهور أميراً غي مأمور) فعدّل القسري عن قتله وبعد أن زال لخطر عنه عاد الى رشدِهِ.

استشهاد الامام محمد الباقر (عليه السلام):

أنفقت الروايات على ان الامام الباقر (عليه السلام) مات مسموماً بعد أن دُسَّ له السم بعدما قضَّ مضجعه وضيق عليه أيام ملكه فلقى ربه بعدما أوصى لابنه الامام جعفر بن محمد الصادق (عليهما السلام) بالإمامة من بعده في سنة (١١٤) هجري. دور الإمام جعفر الصادق (عليه السلام): الإمام الصادق (عليه السلام) في سطور:

هو الامام جعفر الصادق بن الامام محمد الباقر بن الامام علي زين العابدين بن الامام الحسين الشهيد بن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليهم الصلاة والسلام).

ولد سنة (٨٣) هجري وترعرع في ظل جدّه زين العابدين وأبيه الباقر (عليهما السلام) وعنهما اخذ علوم الشريعة ومعارف الاسلام حتى تبوء مركز الإمامة الشرعية بعد آبائه الكرام سنة (١١٤) هجري وبرز الى قمة العلم والمعرفة في عصره فطاطأت له رؤوس العلماء منذ ذلك اليوم وحتى يومنا هذا.

أبيه: السيدة الزكية (أمُ فروة) بنت القاسم الفقيه بن محمد بن أبي بكر وكانت من سيدات عصرها عفةً وفضلاً وشرفاً حتى أصبحت مرجعاً لسيدات ونساء عصرها.

هيبته: كانت للإمام الصادق (عليه السلام) هيبة ووقار تحاكي هيبة ووقار الانبياء والأوصياء، وما رآه أحد إلا هابه، إذ كانت تعلوه روحانية الإمامة وقداسة الانبياء.

عصره: عاصر الامام (عليه السلام) الظلم والطغيان معاً في العهدين الاموي والعباسي، فقد عايش الحكم الاموي ما يقرب أربعة عقود وقرابة الخمسة عشر سنة من الحكم العباسي وبذلك سنحت له الفرصة في بناء الأمة الإسلامية علمياً وفكرياً وعقائدياً وأخلاقياً بناءً يضمن سلامة الخط الاسلامي على المدى البعيد رغم استمرار الانحرافات السياسية والفكرية في أوساط المجتمع الاسلامي.

ويمكن تقسيم عصر الامام الصادق (عليه السلام) الى مرحلتين هما:

المرحلة الأولى: من إمامته (عليه السلام) حتى إتهيار وسقوط الدولة الاموية من (١١٤-١٣٢) هجري.

المرحلة الثانية: فترة تأسيس الدولة العباسية حتى استشهادِهِ (عليه السلام) من (١٣٢-١٤٨) هجري.

ملاحج عصر الامام الصادق (ع) من (١١٤-١٣٢) هجري:

تصدى الامام الصادق (عليه السلام) لموقع الإمامة بعد أبيه الباقر (عليه السلام) فكان مرجعاً في الدين والسياسة والفكر والثقافة للمسلمين كافة، وبمستوى عالي من الإقدام والشجاعة، أعرب الإمام (عليه السلام) عن نواياه وبرنامجه الذي أعدّه لمستقبل المسلمين في ظل إمامته والخطة التي تؤهلهم لأن يكونوا ذلك النموذج السامي في المجتمع حيث يتحرك كلُّ منهم بروى واضحة المسار، بلا فوضى في الاختيار ولا ضلالة في الفكر والسلوك، وبإشر الامام (عليه السلام) مسؤولياته بدأً بالتعريف بإمامته وإثباتها بشكلٍ علمي وعملي، فأخذ يمارس الواناً من الأساليب لئلا يضيع أتباع أهل البيت بين القيادات المتعددة الى ان تبلور في الأذهان أن الإمام الصادق هو الرمز الإلهي والقائد الحقيقي للأمة، وأستمر الامام تعزيز خطواته فتحرّك بأسلوب آخر بغية تعميق العلاقة بينه وبين الوجود الشيعي الذي أعدَّ تفاصيله ورسم معالمه الامام الباقر (عليه السلام).

المصدر: الطبري، تاريخ الرسل والملوك.